

# 78 عاما على مذبحه دير ياسين الدم الفلسطيني يابى النسيان



الخميس 9 أبريل 2026 12:00 م

في 9 أبريل من كل عام، تعود دير ياسين إلى الواجهة بوصفها واحدة من أكثر المحطات دلالة في تاريخ النكبة الفلسطينية، لا لأنها مجرد قرية تعرضت لهجوم دموي في ربيع 1948، بل لأنها تحولت إلى اسم يلخص كيف جرى استهداف المدنيين الفلسطينيين في لحظة كانت فيها موازين القوة تتغير بسرعة على الأرض. ففي ذلك اليوم، هاجمت قوات من منظمتي «الأرجون» و«شتيرن» القرية الواقعة غرب القدس، وقتلت أكثر من 100 من سكانها، فيما تقول مصادر تاريخية أخرى إن عدد الضحايا تراوح بين 100 و140، بينما شاع آنذاك رقم 254 بفعل الدعاية التي رافقت المذبحة وأثرها النفسي اللاحق.

لم تكن أهمية المذبحة في عدد القتلى وحده، بل في أثرها السياسي والنفسي الفوري. فقد أشارت موسوعة بريتانكا ومواد «بالكويست» و«معهد الدراسات الفلسطينية» إلى أن الهجوم بث الذعر في محيط القدس وفي قرى ومدن فلسطينية أخرى، وأسهم في تسريع موجات النزوح قبل أسابيع فقط من إعلان قيام إسرائيل. ولهذا لا تُستعاد دير ياسين باعتبارها حادثة معزولة، بل باعتبارها نقطة تحوّل ساعدت في كسر الإحساس بالأمان لدى المدنيين، ودفعت كثيرين إلى الرحيل تحت وطأة الخوف من تكرار المشهد.

## قرية صغيرة في موقع حاسم

تقع دير ياسين على تل يرتفع نحو 800 متر، إلى الغرب من القدس وعلى مسافة تقارب كيلومتراً واحداً منها، وهو موقع منحها أهمية جغرافية واضحة في معارك 1948. وتشير المصادر التاريخية إلى أن القرية كانت تضم في ذلك العام نحو 750 فلسطينياً يعيشون في بيوت حجرية، كما ارتفع عدد سكانها من 428 نسمة عام 1931 إلى هذا الرقم قبيل المذبحة، ما يعكس حيوية اجتماعية واقتصادية لم تكن هامشية في محيط القدس.

ارتبط موقع القرية أيضاً بالصراع على الطرق المؤدية إلى القدس. فمع اقتراب نهاية الانتداب البريطاني، تصاعدت المواجهات بين العرب والقوات الصهيونية، وبرزت مشكلة الطريق بين تل أبيب وغرب القدس بعد أن تمكنت القوات العربية من قطعه أو تعطيله في مراحل مختلفة. في هذا السياق، اكتسبت القرى الواقعة على المرتفعات الغربية للقدس، ومنها دير ياسين، قيمة عسكرية أكبر من حجمها السكاني، لأن السيطرة عليها كانت تعني تحسين خطوط الحركة أو تأمينها.

قبل الهجوم، لم تكن دير ياسين تُقدّم دائماً بوصفها بؤرة مواجهة مفتوحة. بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن القرية عرفت فترات من الهدوء النسبي وعلاقات أقل توتراً مع التجمعات اليهودية المجاورة مقارنة بمناطق أخرى، رغم أن المناخ العام في فلسطين كان يتجه إلى الانفجار. وهذه النقطة مهمة لأنها تكشف أن ما جرى في 9 أبريل لم يكن مجرد اشتباك مباشر بين قوتين متمثلتين، بل هجوماً على قرية مدنية فوجئت بحجم العنف الذي نزل عليها.

## فجر 9 أبريل: من الهجوم إلى المذبحة

في فجر 9 أبريل 1948، بدأت مجموعات مسلحة من «الأرجون» و«شتيرن» اقتحام القرية. وتقول موسوعة بريتانكا و«بالكويست» إن المهاجمين كانوا يتوقعون سيطرة أسرع، لكنهم واجهوا مقاومة من بعض السكان، ما دفع العملية إلى مسار أشد عنفاً. ومع تعثر التقدم في الساعات الأولى، تصاعد استخدام السلاح والمتفجرات، وبدأ إطلاق النار داخل البيوت وفي أزقة القرية، لتتحول العملية سريعاً من هجوم عسكري إلى قتل واسع للمدنيين.

توضح المصادر التي وثقت الحدث أن المذبحة لم تتوقف عند حدود الاشتباك الأول. فقد ذكر «معهد الدراسات الفلسطينية» أن أكثر من 100 من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن قُتلوا في الهجوم، فيما تتحدث دراسات أخرى عن نطاق أعلى للضحايا يصل إلى 140. كما ارتبطت المذبحة، في الذاكرة الفلسطينية وفي كثير من الكتابات التاريخية، بصور من الإعدام الميداني والتنكيل بالأسرى واستعراض بعض

الناجين والمحتجزين قبل تصفيتهم أو الاعتداء عليهم

أحد أكثر الجوانب إثارة للنقاش التاريخي يتعلق بعدد الضحايا فيبينما شاع رقم 254 فور وقوع المذبحة، تميل دراسات أحدث إلى تقدير العدد بين 100 و140 تقريباً، مع ترجيح بعض الباحثين أن يكون عدد القتلى نحو 107 أو 110. لكن هذا الخلاف الرقمي لم يغيّر طبيعة الحدث في الوعي الفلسطيني والعربي، لأن جوهر القضية ظل ثابتاً: قرية مدنية تعرضت لهجوم دموي متعمد ترك أثراً يفوق الرقم المجرّد للضحايا

### أثر المذبحة: الربع كسلاح والتهجير كنتيجة

بعد ساعات وأيام من المذبحة، لم يبق أثرها داخل حدود القرية فقد انتشرت أخبارها بسرعة في القدس ومحيطها، وبدأت تترسخ في الوعي الفلسطيني باعتبارها نموذجاً لما يمكن أن يواجهه المدنيون في قرى أخرى وتشير بريتاينكا والجزيرة إلى أن هذا الأثر النفسي كان عميقاً إلى درجة أنه سرّع نزوح آلاف الفلسطينيين من مناطق مختلفة، لأن دير ياسين قدمت إنذاراً عملياً بأن البقاء قد يعنى التعرض للمصير نفسه

هذا الانتقال من القتل إلى صناعة الربع هو ما جعل دير ياسين نقطة تحول في حرب 1948. فالمذبحة لم تكن فقط جريمة دامية، بل كانت أيضاً حدثاً ساعد في تفكيك الإحساس الجماعي بالأمان لدى الفلسطينيين ولهذا تربط موسوعة «بالكويست» بين دير ياسين وبين مسار أوسع من الإجلاء القسري والاقتلاع من القرى والمدن، معتبرة أن المذبحة أصبحت رمزاً لمخططات الطرد والإخلاء التي طبعت النكبة في أشهرها الحاسمة

كما أن دير ياسين ارتبطت بسرعة بسياق سياسي أوسع من حدود القرية نفسها فقد جاءت بعد بدء تنفيذ «الخطة دالت» في أوائل أبريل 1948، وهي الخطة التي يربطها كثير من المؤرخين والباحثين بتوسيع العمليات العسكرية للسيطرة على مناطق فلسطينية وإخلائها ومن هنا اكتسبت المذبحة دلالاتها المستمرة، لأن الفلسطينيين لم ينظروا إليها كحدث عرضي، بل كجزء من مسار منظم سبق قيام إسرائيل وأعاد تشكيل الخريطة السكانية بالقوة

### لماذا بقيت دير ياسين حاضرة حتى اليوم

بعد 78 عاماً، لا تزال دير ياسين تحضر في الذاكرة الفلسطينية والعربية لأن ما وقع فيها يمس ثلاثة مستويات في وقت واحد المستوى الأول هو إنساني مباشر، يتعلق بقتل المدنيين داخل بيوتهم وفي شوارع قريتهم والمستوى الثاني هو سياسي، لأن المذبحة أسهمت في تسريع التهجير الجماعي أما المستوى الثالث فهو رمزي، إذ أصبحت دير ياسين اختصاراً لمعادلة تقول إن العنف لم يكن هامشياً في تأسيس الواقع الجديد، بل كان جزءاً بنيوياً من إنتاجه

ولذلك لا تُستدعى دير ياسين في كل 9 أبريل من باب التوثيق السنوي فقط، بل من باب الصراع على الرواية أيضاً ففي الوقت الذي تسعى فيه بعض السرديات إلى تقليل عدد الضحايا أو إعادة توصيف الحدث كـ«معركة»، يظل الثابت في أغلب المصادر التاريخية الجادة أن الهجوم استهدف قرية فلسطينية مدنية، وأن النساء والأطفال وكبار السن كانوا ضمن القتلى، وأن أثر المجزرة تجاوز مكانها المباشر إلى موجات الخوف والفرار وهذا الثبات هو ما يمنح الذكرى قوتها المستمرة

كما أن بقاء اسم دير ياسين حياً يرتبط بأن المذبحة لم تُغلق في الوعي الفلسطيني باعتبارها ماضياً منجزاً، بل باعتبارها سابقة تأسيسية لسياسات لاحقة فحين يُستعاد الحديث عن استهداف المدنيين والتهجير القسري والحصار والترويع، تعود دير ياسين إلى المقدمة بوصفها المثال الأوضح على أن هذه الأدوات ليست طارئة في تاريخ الصراع، بل ممتدة في بنيته منذ 1948. ومن هنا تبدو الذكرى، بعد كل هذه العقود، جزءاً من الحاضر بقدر ما هي جزء من التاريخ

في المحصلة، لا تختصر دير ياسين مأساة قرية فقط، بل تختصر لحظة انهارت فيها الحماية المدنية أمام مشروع عسكري وسياسي أوسع، وتحول فيها القتل إلى رسالة، والربح إلى وسيلة، والتهجير إلى نتيجة ولهذا تبقى المذبحة واحدة من أكثر محطات النكبة رسوخاً في الذاكرة، لأن ما حدث فيها لم ينته عند يوم 9 أبريل 1948، بل امتد أثره في الخريطة والسكان والوعي والرواية حتى اليوم